عباده لا يليق الا به من تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يستنزل جواص عباد الملك ويستخدمهم
ويترفع عليهم ويستأثر بها حق الملك ان يتنازعه منهم منازع له في بعض امره وان لم يبلغ درجته درجة
من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله تعالى وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر
على عبد من عباد الله تعالى فقد نازع الله تعالى الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق
بين منازعة الملك من استنصار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته من اصل الملك والوجه الثاني الذي
يعظم رذيلة الكبر انه يدعوا الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله تعالى
استنكف من قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتبادلون من اسرار
الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين وهما انضح الحق على لسان واحد منهم انف الاخر من قبوله وتشمر لجحده
واحتال لدفعه بما يفر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال
وقالوا الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الاية فكل من يناظر للغلبة والافحام
لا لينقاد للحق اذا ظهر به فقد شارك هؤلاء الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول
الوعظ كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رضي الله عنه انه قرأها فقال انا لله
وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف فقتل فقام اخر فقال ويقتلون الذين يامرون بالقسط من
الناس فيقتل المتكبر الذي خالفه والذي امره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك
نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما
منعه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك الى اغلت يده فاذا تكبر على الخلق عظيم لانه يدعوه الى التكبر على
امر الله تعالى وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكى احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر
بالنسب لانه قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به فكان
سببا الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله تعالى وكان ذلك سبب هلاكه ابدا الآباد فهذه
آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بها حين
الاقتبس اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ احب الجمال ما ترى امر الكبر
هو قال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث اخر من سفه الحق وقتله وغمص
الناس اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق رده
وهي الآفة الثانية فكل من راى انه خير من اخيه واحقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار اورد
الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع
رسله فقد تكبر بينه وبين الله تعالى والرسل عليهم السلام

بيان ما به التكبر اعلم

انه لا يتكبر
من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا لو يعتقد لها صفة من صفات الكمال والجامع ذلك يرجع الى كمال

دنيا او دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو الحسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه
سبعة اسباب الاول العلم وما اشرع الكبر الا العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء
فلا يلبث العالم ان يتعزز بالعلم ويستشعر من نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس
وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويترفع ان يبدأهم بالسلام فان بدأ احدا منهم بالسلام او رد عليه البشر
او قام له اذا جاء له دعوة رأى ذلك اصبعه له عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد
انه اكرمهم وانه فعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يتقرب له ويخدموه شكرا لله على صنيعه
بل الغالب انهم يزورونه ولا يزورهم ويعودونه ولا يعودهم ويستخدم من خالطهم منهم
ويستنجح من حوائجه فان قضى فيها استنكره كانهم عبيده او اجراؤه وكان تعليمه العلم صنيعة منه لديهم
ومعروفا اليهم واستحقاق الحق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا واما تكبره في امر الاخرة فيرى نفسه عند الله
تعالى اعلى وافضل منهم فيحتقر عليهم اكثر مما يحتقر على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان
يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يورث الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة
وحجبه الله تعالى على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سيأتي من طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد
خوفا وتواضعا وتخشعا ويقضي اذ يرى ان كل الناس خير منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في
القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال
فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان ذلك سببه احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى
علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي يثمر والعبد به نفسه وربه بحذر وعز ويخطر امره مع لقاء الله
تعالى والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والاخر قال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفضل الخطوات وطرق الجدال
فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها امتلاء كبر او نفاق وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما
بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا السبب الثاني ان
يخوض العبد في العلم وهو خبيث الداخلة ردي النفس سيء الاخلاق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية
قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه وعباده ربه ففي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان
صار العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم تطب ثمرته ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب رسول الله لهذا مثلا فقال العلم
كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحول على قدر طعومها فترداد المرة
مرارة والحلو حلاوة وكذلك العلم يحفظه الرجال فيتحول على قدر هممها واهوائها فيريد المتكبر بالعلم
زهدا لان تركه نهمته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وحدثه يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل
خائفا مع جهله فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تاكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وتواضعا وذلا

Copyright Boundless Charity

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)